نطق الأشياء الصامتة من معجزات النبي ﷺ الصادقة

للدكتور/حافظ محمد شبير احمد
والدكتور/عبد الرؤف زاهد[1]

ABSTARCT

Allah Almighty provided complete sources for guidance of humanity the world. The purpose of revelation of prophets and apostles was to persuade people to perform good deeds and recognize the will of their Lord. Allah has blessed his messenger and prophets with miracle almost all the apostles were blessed with some kind of miracles. When last prophet of Allah (peace and blessing of Allah be upon him) was sent, Allah bestowed many miracles as well some of those were seniority and some are spiritual. Some miracles were habitual while others were a challenge to humanity until the day of Judgment, and some miracles were limited to the life of the prophet (peace and blessing of Allah be upon him).

This research article mentions the miracles of the prophets(peace and blessing of Allah be upon him).among which speaking of things which are apparently in capable of speaking such as food, trees, speechless animals, in animate objects, etc. This Article particularly mentions the miracles of Prophet (peace and blessing of Allah be upon him).in the light of Quran and Sunnah and also condemnations of sects denying the miracle of Prophets(peace and blessing of Allah be upon him).The article also includes the review of the tradition concerning the miracle of the Prophet(peace and blessing of Allah be upon him).in order to study the authentic, weak and fabricated traditions related to miracles. This research will help in providing authentic traditions related to the miracle of Holy Prophet (peace and blessing of Allah be upon him).

KEYWORDS: *Miracle, habitual, humanity, Day of Judgment, messenger.*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فكلما أرسل الله سبحانه وتعالى نبياً أو رسولاً إلى قوم من الأقوام السالفة إلا أوتي بالآيات والبراهين التي تدل على صدقه ولإتمام الحجة على قومه. ومن هذه الآيات كانت بعضها خارقة للعادة التي تصدر من نبي أو رسول كعصا موسى عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام وغيرها.

(1) كلاهما عضو هيئة التدريس بقسم العلوم الإسلامية، بجامعة لاهور – لاهور - باكستان

وحينما بُعِث نبيُّنا محمد ﷺ أوتي أيضاً بالآيات والبراهين كثيرة بشتى الأنواع، حسيةً كانت أم معنوية، ومقترحة كانت من قبل الناس أم غير مقترحة، منقرضة بموت النبي ﷺ أم باقية إلى يوم القيامة، وكان التحدي فيها أو لم يكن فيها التحدي، وقد أُطلِق عليها بعد المائتين لفظ "المعجزة" فمعناها بما تعورف عليه أنه هو معنى الآية والبرهان، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن لفظ المعجزات لم يكن موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيهما لفظ الآية، والبينة والبرهان[1].

فالمعجزة لفظ حادث، لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في كلمات الصحابة ولا في التابعين ولا تبع التابعين، واستُعْمِل لفظ المعجزة في آيات الأنبياء بعد ظهور علم الكلام كالمعتزلة لأنهم بنوا آيات الأنبياء على العَجْزْ لعَجْزْ الناس عنها ومن ثم أنكروا الكرامات.

وكانت معجزات النبي ﷺ كثيرة حيث كانت حياته ﷺ مليئة بالمعجزات تشهد على نبوته ﷺ وصدقه، وعلى العموم هذا هو الفارق بين النبي وبين البشر، وبتلك المعجزات فاقوا الأنبياء على أبناء جنسهم، وفيها دلالة بينة على صدق نبوتهم بأنهم مرسلون من الله تعالى فبذلك عُرِف أن الإيمان برسالته واجب ونجح من أطاعه ﷺ وخسر من عصاه.

وسنتكلم عن نوعها الخاص، وهو: نطق الأشياء الصامتة أمام النبيﷺ التي بطبيعتها لم تنطق،لكي يُعْرف منها ما هو صحيح وما هو ضعيف بل موضوع، وذلك لبيان سبب وضعه ولإظهار أنه ليس من كلام النبي ﷺ كما هو مشهور بين الناس، غير الحديث الضعيف فأذكره مع ذكر الحكم عليه لقبوله في السيرة والتاريخ.

ولم يكتب – فيما أعتقد – من قبل في هذا الموضوع مستقلاً، إلا ما جاء ضمن كتب الأحاديث والسيرة والتاريخ ونحوها، وأفرد بعضهم بالأبواب، كالصالحي[2] في كتابه "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" وقد استفدنا منه في هذا البحث.

تعريف المعجزة:

المعجزة: لغة: من الإعجاز وهو مصدر من أعجز، معناه الفوت والسبق، وأعجزه الشيء إذا فاته ولم يقدر عليه، والإعجاز مشتق من العجز: وهو الضعف وعدم القوة [3].

واصطلاحاً:

قال القرطبي[4]: المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي سالم من المعارضة.

وقال القسطلاني[5]: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم السلام.

(1) الجواب الصحيح لابن تيمية (67/4) .

(2) هو محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ)،ينظر [كشف الظنون للحاجي خليفة 978/2] .

(3) ينظر [لسان العرب (370/5)] .

(4) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام للإمام القرطبي (ص: 239).

(5) المواهب اللدنية بمنح المحمدية للقسطلاني (346/1) .

وقال الماوردي[1]: المعجز: ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها، تصديقاً على اختصاصه برسالته، فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف.

وقال القاضي الباقلاني[2]: هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم الأمم بالإتيان بمثل ذلك.

وقال الجويني[3]: هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة وظاهرها على حسب دعوى النبوة.

وقال التفتازاني[4]: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي وعدم المعارضة.

وعرف الشريف الجرجاني[5]: المعجزة بأنها أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله.

وقال الإيجي[6]: المعجزة: هي أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله سبحانه.

أما الشيعة الإمامية:

فعرّف شيخهم القزويني[7]: إن المعجزة التي تحصل للأئمة بأنها "ما كان خارقًا للعادة أو صارفًا للقدرة عند التحدي مع عدم المعارضة، والمطابقة للدعوى".

وقد جاء من معجزاتهم[8]: أنهم يحيون الموتى، ويتحدثون مع الحيوانات، وتشهد لهم بالإمامة، ويحدثون بما كان وما يكون، ويرون أعمال العباد بواسطة عمود من نور يكون معهم منذ ولادتهم، وأمثال ذلك.

وقال عالمهم هاشم البحراني[9]: اعلم أن المعجزات من الأنبياء والأئمة دليل على صدقهم على الله سبحانه في دعواهم النبوة والإمامة، لأن المعجز الخارق للعادة، فعله تعالى، وإقدارهم على ذلك منه جل جلاله، ومن المعاجز مثل كتابة أسمائهم على ساق العرش والحجب والشمس والقمر، وما شاكل مثل كتابتهم على الأشجار وغيرها.

وقال الإمام ابن تيمية[10]:

"لابد في آيات الأنبياء أن تكون مع كونها خارقة للعادة أمرا غير معتاد لغير الأنبياء, بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء, ليس مما يقدر عليه غير الأنبياء، لا بحيلة ولا عزيمة، ولا استعانة بشياطين، ولا غير ذلك".

---

(1) ينظر [أعلام النبوة له (ص: 42)] .
(2) الإنصاف للباقلاني (ص: 54).
(3) لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة (ص: 124).
(4) شرح المقاصد للتفتازاني (11/5).
(5) التعريفات (ص: 219).
(6) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق خان القنوجي (ص: 100) .
(7) ينظر [قلائد الخرائد للقزويني (ص: 72)] .
(8) ينظر [عيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب (ص: 17-80)] .
(9) مدينة المعاجز للبحراني (41/1) .
(10) النبوات لابن تيمية (502/1) .

مما سبق في التعريفات نرى الخلاف فيها لفظي ومفهومها متقارب فمنهم من زاد شيئا ومنهم من نقص بل الشيعة جعلت المعجزة للإمام كما جعلها للنبي، ويمكن نستخلص تعريف المعجزة عند أهل السنة بلفظ: "هي أمر خارق للعادة (أي: النواميس الكونية) سالم من المعارضة أظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة".

شروط المعجزة:

سميت المعجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها، وبذلك علمنا أنه من يأتي من البشر بادعاء النبوة يجب عليه أن يأتي بها بالشروط، واختلفوا فيها ما بين شرطين إلى سبعة شروط حيث جعل الباقلاني شرطين لها[1]، وجعلت الأشاعرة بثلاثة شروط[2]، وجعل القرطبي خمسة[3]، وزاد عليها الإيجي وجعلها سبعة[4]، وكلها متداخلة، وملخصها بما يلي:

1- أن يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه.

2- أن يكون خارقا للعادة.

3- أن يتعذر معارضته.

4- أن يكون ظاهراً على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له. (ليس التحدي عنده من اشتراط النبوة بل يكفي قرائن الحال، أي: لو طُلِب فيُظهر المعجزة، وقال غيره باشتراطه).

5- أن يكون موافقاً لدعواه.

6- ألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذباً له.

7- أن لا يكون متقدما على الدعوى بل مقارنا لها لأن التصديق قبل الدعوى لا يعقل.

تسميتها بالدلائل:

وقد سُمِّيت المعجزات الدلائل والصواب أن بينهما العموم والخصوص المطلق، لأن الدلائل: جمع الدَّلالة، وهي العلامة والأمارة[5] وهو ما يدل على صدق نبوته ﷺ بذكر الأدلة الحسية كالمعجزات، والمعنوية كفضائل النبي ﷺ وخصائصه[6].

فبذلك يبين لنا أن الدلائل تتعلق بإبراز ما يدل على صدق نبوة النبي من الأدلة الحسية أو المعنوية، سواء قبل البعثة أو بعدها كذكر كونه نبياً في الكتب السابقة.

وأما المعجزة فهي أخص منه: وهي الآيات والبراهين خارقة للعادة مقرونة بالتحدي وسلامة عن المعارضة كانشقاق القمر.

الخوارق الأخرى غير المعجزة:

---

(1) البيان للباقلاني (ص: 94) .

(2) البيان للباقلاني ملخصاً (ص: 95-98) .

(3) تفسير القرطبي (105/1) .

(4) المواقف للإيجي (338/3). .

(5) ينظر [لسان العرب (249/11) ومختار الصحاح (ص: 88)].

(6) خصائص المصطفى للصادق إبراهيم (ص: 26).

وهناك الخوارق الأخرى غير المعجزة يلزم ذكرها لعلاقتها بها، وقسمها بعض العلماء[1] إلى ثلاثة أنواع: المعجزة والكرامة والحالة الشيطانية، ووزع بعضهم الحالة الشيطانية إلى نوعين فصارت أربعة أنواع وزاد غيرهم إلى ستة أنواع، وأذكر منها ما هو معروف بين الناس.

الكرامة: لغة: من الكَرَم ضد اللؤم، وكرُم يكرُم كرما كرامة، وله علي كرامة أي: عزازة، والكرامة اسم للإكرام مثل الطاعة للإطاعة[2].

واصطلاحاً: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة[3].

فهي أمر يجريه الله على يد أوليائه ويكون خلاف على ما اعتاده الناس من سنن الكون وقوانينه، كإتيان مريم عليها السلام ثمر الشتاء في الصيف وكذلك العكس.

والسحر: لغة: صرف الشيء عن وجهه، ويطلق على كلِّ ما كان من الشيطان فيه مَعُونة . وكل ما لطف مأخذه ودقّ، وكذلك: الأُخْذَةُ التي تأخُذُ العين وأيضاً: البَيان في الفطنة[4].

واصطلاحاً: هو شيء يأخذ البصر ثم يضمحل[5] كحبال سحرة فرعون تحولت حيات.

وقال الفيومي[6]: في عرف الشرع مختصّ بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع.

وينقسم السحر على قسمين:

الأول: سحر حقيقي : وهو ما يؤثر في بدن المسحور فيمرضه أو يؤثر على عقله أو يقتله، فهذا عمل شيطاني.

الثاني: سحر تخييلي (شعوذة): قال الله تعالىقَالَ بَلْ اَلْقُوْا ۚ فَاِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ اِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ اَنَّهَا تَسْعٰى [سورة طه الآية رقم (66)] فيعملون شيئاً على أعين الناس، وهو ليس له حقيقة، فيظهر منه أن يضرب نفسه بالسيف، وأنه يأكل المسامير أو النار أو الزجاج، أو يدخل في النار[7] وقد يطلق عليه الشعوذة، وهذا كله كذب وسحر لأعين الناس، وهو سحر تخييلي، إذا ذهب هذا السحر عادت الأمور كما هي.

والكهانة: لغة: من كَهَن كهانة فهو كاهن وجمعه كهّان كهنة، قضى له بالغيب[8].

---

(1) شرح عقيدة الطحاوية للصالح آل الشيخ (ص: 679)، وشرح المقاصد للتفتازاني (203/2)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (392/2)

(2) ينظر [القاموس المحيط (ص: 1489) والعين (368/5)] .

(3) قطف الثمر للصديق خان القنوجي (ص: 100) .

(4) ينظر [النهاية في غريب الأثر (875/2) والقاموس المحيط (ص: 518) والعين (135/3)] .

(5) كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي (ص: 189) .

(6) المصباح المنير (268/1) .

(7) شرح العقيدة الطحاوية لصالح الفوزان (ص: 220) .

(8) ينظر [لسان العرب (362/13) والقاموس المحيط (ص: 1585)] .

واصطلاحاً: هو إدعاء علم الغيب بمعاونة الجن وهو إلقاء الجن إلى بعض الناس ما استرقوه من السمع في مقاعد كانت لهم يقربون فيها من السماء[1].

وقال ابن المطرز: إن الشياطين كانت تسْتَرِق السمع فتُلْقيه إلى الكَهنة فتزيدُ فيه ما تُريد وتقبلُه الكُفّار منهم فلما بُعث عليه السلام وحُرِست السماء بطلَت الكِهانة[2].

فهذا أيضاً من الكذب والخدعة واستعانة الشياطين.

وقد يطلق عليها العرافة: هو إدعاء علم الغيب بالحدس والتخمين لا من ما استرقه الجن. كما يطلق عليها التنجيم: هو إخبار عن الأمور المستقبلية بواسطة النظر في النجوم[3].

ويعرف مما سبق أن المعجزة تختلف عن الكرامة في أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة، والكرامة لا تكون مقرونة به، والمعجزة تقع على أيدي الأنبياء والمرسلين تصديقاً لرسالتهم، والكرامة تحصل للولي باتباعه للنبي ﷺ والاستقامة على شرعه، فهي أيضاً دليل على صدق النبي ﷺ ولولا اتباعه للنبي ﷺ ما حصلت له كرامة.

وأما الفرق بين المعجزة والسحر والكهانة فالمعجزة تكون مقرونة بالتحدي والسحر والكهانة فلا يقترنان به. والمعجزة تقع بتأييد الله سبحانه دون تدخل من النبي. وهما يحدثان باستعانة الشياطين.

وأما الفرق بين الكرامة والسحر فأوضح الفروق بينهما اختلاف أحوال صاحبيهما في اتباع النبي ﷺ والمحافظة على الطاعات واجتناب المنكرات.فالساحر فهو معروف بالفسق والدجل وارتكاب المحرمات والموبقات.

قال الحافظ ابن حجر[4]: الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة، أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالبا اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي.

وقال ابن تيمية[5]: مراتب الخوارق ثلاثة، آيات الأنبياء، ثمّ كرامات الصالحين، ثمّ خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضلاّل من المسلمين.

نطق الأشياء الصامتة أمام النبي ﷺ:

وهناك بعض الأشياء التي لَمْ ولن تقدر أن تنطق بطبيعتها وهي حسية كانت أم معنوية ولكن نطقت للنبي ﷺ تصديقاً له وإيماناً به، منها:

1) نطق الشراب والطعام:

1- عن ابن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ فنسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل[1].

---

(1) أعلام النبوةللماوردي (ص: 186) .

(2) المغرب في ترتيب المعرب (237/2) .

(3) شرح العقيدة الطحاوية لصالح الفوزان (ص: 220) .

(4) فتح الباري للحافظ ابن حجر (223/10).

(5) النبوات لابن تيمية بتحقيق الطويان (19/6).

وعنه أيضاً، قال: كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يشرب"، الحديث[2].

دلالة الإعجاز: إن صوت الطعام والشراب وتسبيحهما أمام النبي ﷺ وسماع الصحابة له من أمهات المعجزات الكبرى لنبينا محمد ﷺ بحيث ليس لهما لسان يتكلم به وهذا يدل على صدق نبوته ﷺ ورسوخ اليقين في قلوب أصحابه حين سمعوا تسبيح الطعام يخترق منافذ أسماعهم إلى أن يستقر في قلوبهم فيملأها حكمة وإيمانا هداية وعرفاناً، ولا شك أنهم أفضل الناس على الإطلاق وهم قد رأوا هذه المعجزات بأعينهم وسمعوا هذه التسبيحات والمخاطبات بآذانهم وأيقنوا أنه ﷺ مرسل من ربه فاختارهم الله لرفع لواء الإسلام، وإعلاء دينه على جميع الأديان ورضي الله عنهم بصدق إيمانهم.

وروي أيضاً عن أنس أن رسول الله ﷺ أتي بطعام ثريد، فقال: «إن هذا الطعام يسبح»، قالوا: يا رسول الله! وتفقه تسبيحه، قال: «نعم»، ثم قال لرجل: «ادن هذه القصعة من هذا الرجل»، فأدناها منه فقال: نعم، يا رسول الله، هذا الطعام يسبح فقال: «ادنها من آخر» وأدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح ثم قال: «ردها» فقال رجل: يا رسول الله، لو أمرت على القوم جميعا، فقال: «لا، إنها لو سكتت عند رجل لقالوا:

من ذنب ردها»، فردها[3].

2- وعن أبي هريرة أن خيبر لما فتحت أهدت يهودية للنبي ﷺ شاة سميطاً فأخذ الذراع فلما بسط القوم أيديهم قال: «كفوا أيديكم، فان عضوها يخبرني أنها مسمومة» ودعا اليهودية، فقال: «أسممتِ هذه الشاة؟» قالت: من أخبرك؟ قال: «هذا العظم لساقها وهو في يده»، قالت: نعم، قال: «فما حملك على ذلك؟» قالت: قلت: إن كان نبياً فلا يضره، وإن الله سيطلعه عليه، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان الله ليسلطك عليّ» فعفا عنها ولم يعاقبها[4].

وروي عن ابن عباس قال: أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع، ثم استقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدي مشوي، فقالت: الحمد لله يا محمد، الذي سلمك، كنت نذرت لله إن سلمك الله وقدمت المدينة سالماً لأذبحنّ هذا الجدي فلأشوينّه ولأحملنه إليك لتأكل منه، فاستنطق الله تعالى الجدي، فقال: يا محمد لا تأكلني فإني مسموم[5].

دلالة الإعجاز: ظهر في هذا الحديث معجزتان، إخباره ﷺ عن الغيب، وعن الشاة المسمومة، والذي أريد بيانها ههنا هي مخاطبة الذراع للنبي ﷺ بقولها: "لا تأكل يا رسول الله فإن الشاة مسمومة فتموت". هذا الذي وقع وهي آية كبرى ومعجزة عظمى حيث قال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة. فإن في تكليم الذراع له ﷺ أمر خارق للعادة، فهو معجزة كبرى لنطقه ممن ليس من صفاته النطق، ولم يسمع أحد من الحاضرين لإظهار هذه المعجزة على يديه ﷺ بالذات.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1312/3 برقم 3579) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

(2) أورده الصالحي في سبل الهدى والرشاد (15/10) وعزاه إلى النسائي والبيهقي وابن مردويه ولم أجده.

(3) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (برقم1214) بإسناد ضعيف جداً، وفيه زياد بن ميمون متهم بالكذب.

(4) أخرجه البخاري في الصحيح بنحوه (1156/3) كتاب الجزية باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم.

(5) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (62/1) مطولاً، وهو حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات (287/1) والسيوطي في اللآلي المصنوعة (248/1).

وروي فيه أيضاً عن ابن عباس قال: أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع، ثم استقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدي مشوي، فقالت: الحمد لله يا محمد، الذي سلمك، كنت نذرت لله إن سلمك الله وقدمت المدينة سالماً لأذبحنّ هذا الجدي فلأشويَنّه ولأحملنه إليك لتأكل منه، فاستنطق الله تعالى الجدي، فقال: يا محمد لا تأكلني فإني مسموم(1)، وإسناده ضعيف جداً.

2) نطق الشجر:

1- عن جابر بن عبد الله قال: إن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة، فاتخذ له منبر، فلما فارق الجذع، وغدا إلى المنبر الذي صنع له جزع الجذع، فحنّ له كما تحن الناقة(2).

وقد روي بلفظ آخر: فخار كخوار الثور(3).

دلالة الإعجاز: إن حنين جذع النخلة بعد فراقه ﷺ وأخذ النبي ﷺ منبرا جديدا كحنين الناقة وهو شوقه وحبه مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق أو خواره كخوار الثور صياحه كصياح الصبي وسماع الصحابة صوته وسكونه بعد التزامه النبي ﷺ وهي آية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ وكان حزنه على رسول الله ﷺ من حيث لم يكن له اللسان ولكن يصيح صياح الصبي وهي خرق لقوانين الطبيعة تعجز الخلائق أن يأتي بمثلها.

ورُوِيت في كلام الشجر للنبي ﷺ روايات غيرها، نحو:

– عن ابن عمر قال: كنا في سفر، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول اللهﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك في خير؟» قال: وما هو ؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله»، قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة»، فدعاها رسول اللهﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض خدا فقامت بين يدي رسول اللهﷺ فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال لرسول اللهﷺ: إن يتبعوني آتك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك(4).

– وعن يعلى بن مرة قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا، فنام رسول الله ﷺ فجاءت شجرة استأذنت تشق الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له ذلك، فقال: «هي شجرة استأذنت ربها أن تسلم علي فأذن لها»(5).

(1) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (62/1) مطولاً، وهو حديث موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات (287/1).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (1314/3برقم3392) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام.

(3) أخرجه الدارمي في السنن (32/1 برقم41) باب ما أكرم النبي ﷺ بحنين المنبر ، وسنده صحيح، وقال الحاكم في المستدرك (357/2) حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(4) أخرجه الدارمي في السنن (22/1 برقم16) باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، وسنده صحيح، وقال الحاكم في المستدرك (620/2) حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه وقال الذهبي إسناده جيد.

(5) أخرجه أحمد في المسند (173/4) بسند ضعيف ومدار هذه الرواية على عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص بن أبي عقيل الثقفي عن يعلى بن مرة، عبد الله بن حفص مجهول وعطاء قد اختلط.

– وعن بريدة قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! قد أسلمت فأرني شيئا أزداد به يقينا، قال: «ما الذي تريد؟» قال: ادع تلك الشجرة، فلتأتك، قال: «اذهب فادعها»، فأتاها الأعرابي، فقال: أجيبي رسول الله ﷺ فمالت على جانب من جوانبها، فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله! فقال: «بم تشهدين، يا شجرة؟» قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبد الله ورسوله، قال: «صدقت»، فقال الأعرابي: حسبي حسبي، مرها فلترجع إلى مكانها، فقال: «ارجعي إلى مكانك، وكوني كما كنت»، فرجعت إلى حفرتها، فجلست على عروقها في الحفرة، فوقع كل عرق مكانه الذي كان فيه، ثم التأمت عليها الأرض، فقال الأعرابي: أتأذن لي يا رسول الله أن أقبل رأسك ورجليك، ففعل، ثم قال: أتأذن لي أن أسجد لك ؟ فقال: «لا يسجد أحد لأحد»[1].

– وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال: سألت مسروقاً من آذن النبيﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال: حدثني أبوك، قال: آذنته بهم شجرة[2].

ولو ننظر إلى هذه الأحاديث من دعوة النبي ﷺ للشجرة، وإجابتها لتلك الدعوة، وسعيها حتى تقف بين يديه ﷺ وتكلمها ونطقها بالشهادتين، حدث عظيم وأمر خارق للعادة، ولا يقدر أحد أن ينكر عليها لثبوتها من الأحاديث الثابتة الصحيحة، وهذه المعجزة مختصة بنبينا محمد ﷺ بالغة الأهمية بالنسبة للمؤمنين بها، لأنها تزيدهم إيماناً وتصديقاً بأن محمداً ﷺ مرسل من ربه سبحانه لاعتراف الشجر برسالته، والإيمان به، والنطق بالشهادتين وإطاعته بإجابة دعوته وهذا كله كان تأييداً للنبي ﷺ وتأكيداً لرسالته، فإذا كانت هذه النبات تطيعه وتعظمه فما بال البشر بمن له عقل ووعي وتدبر وتفكر، ولسان ناطق، لا يؤمن به ولا يطيعه ويمهله بل يكذبه، ألا إنه لأمر غريب وعجيب.

فالله سبحانه بمعجزاتٍ يقلب حقائق الأشياء للأنبياء، وبهذا الصدد نصل إلى درجة اليقين بأنه من عند الله سبحانه وأنه قادر على أن يُسمع ما ليس من شأنه الاستماع ويُنطق ما ليس من شأنه النطق بدون لسان، حتى يُمشي ما ليس من شأنه الانتقال من مكان إلى مكان بدون أقدام ليتعظ بها الناس، وليعلموا أن هذا كله بإذن الله تعالى على يد النبي من أنبيائه تأكيداً لصدق رسالته، وتأييداً لدعوته، وتفريجاً لهمومه وأحزانه واطمئناناً وتصديقاً للمؤمنين.

3) نطق الحجر والخشب:

1– وعن جابر بن سمرة ، قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف حجراً كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرف الآن»[3].

---

(1) أخرجه الروياني في المسند (78/1) بسند ضعيف من طريقه عن حبان بن علي عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن بريدة به، وحبان بن علي وصالح بن حيان ضعيفان ، وإن تابع تميم بن عبد المؤمن، حبان بن علي، ولكن ضعف ابن حيان على حاله.

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (1401/3برقم3646) كتاب المناقب باب ذكر الجن. ومسلم في الصحيح (332/1 برقم153) كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح (1782/4 برقم 2277) كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

دلالة الإعجاز: وقول الله تعالىٰ: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا O [الإسراء: (44)] تدل على أن كل شيء في هذه الدنيا من الحيوان والنبات والجماد يسبح لله سبحانه وتعالى ولكن لا يقدر البشر أن يسمع هذا التسبيح. وهذه هي الطبيعة وإذا سمع البشر هذا التسبيح فذاك خارق للعادة، ففي الحديث إثبات تسليم الحجر على النبي ﷺ كما جاء في الروايات الأخرى:

– عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما كانت ليالي بعثت ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك، يا رسول الله» (1).

– وعن علي قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك، يا رسول الله! (2).

وقد روي أيضاً في تسبيح الأحجار في يده ﷺ، نحو:

– عن أبي ذر قال: كان بين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات أو قال: تسع حصيات، فأخذهن في كفه، فسبحن، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي ﷺ: «هذه خلافة النبوة»(3).

– وعن ابن عباس قال: قدم ملوك حضرموت على رسول الله ﷺ وفيهم الأشعث بن قيس، فقالوا إنا قد خبأنا لك خبأ فما هو؟ قال: «سبحان الله ! إنما يفعل هذا الكاهن والكهانة في النار» فقالوا: فكيف نعلم أنك رسول الله، فأخذ رسول الله ﷺ كفا من حصى، فقال: «هذا يشهد أني رسول الله» فسبح الحصى في يده، فقالوا: نشهد أنك رسول الله(4).

– وعن أنس قال: تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات، فسبحن في يده، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن كما سبحن في يد النبي ﷺ ثم ناولهن النبي ﷺ عمر فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كما سبحن في يد أبي بكر وعمر(5).

– وعنه أن النبي ﷺ أخذ حصيات في يده فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن(1).

---

(1) أورده ابن الجوزي في الوفاء (108/1) بلفظه ولم أقف على إسناده.

(2) أخرجه الترمذي في الجامع (593/5 برقم3626) أبواب المناقب باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به. وقال: حديث حسن غريب، وفيه السدي يكتب حديثه ولا يحتج به ، وعباد بن أبي يزيد مجهول.

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (117/39) وفيه سلسلة الضعفاء، وقال الدارقطني في العلل (242/6) : هذا حديث مضطرب.

(4) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (138/2) وأورده الحافظ في الإصابة (492/1) وسنده ضعيف.

(5) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (121/39) ، ولم أقف على بعض التراجم.

دلالة الإعجاز: هذه الروايات ضعيفة ولكنها تقبل مثلها في السيرة والتاريخ، وتسبيح الحصى في يد النبي ﷺ معجزة له وتسبيحه في أيدي أصحابه الثلاثة كرامة لهم لما حدث خارقاً للعادة من حيث سمع الناس كلهم في هذا المجلس. فالله هو القادر المطلق لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي ألهم الحصى أن تسبح في يد نبيه المختار ﷺ كما سبحت في أيدي أصحابه إكراماً له ﷺ وتطيباً لخاطره.

وكذا روي تأمين الحجر والخشب على دعاء النبي ﷺ كما روي عن أبي أسيد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «يا أبا الفضل، لا ترم منزلك غداً أنت وبنوك حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة»، فانتظروه، حتى جاء بعد ما أضحى، فدخل عليهم، فقال: «السلام عليكم» فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم قال لهم: «تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض» حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال: «يا رب، هذا عمي وصنوا أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه»، قال: فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين آمين آمين، ورواه ابن ماجه مختصرا وليس في سنده متهم(2).

دلالة الإعجاز: فيه تأمين أسكفة الباب وهي عتبته أي: الدَرج للصعود إلى البيت، وكذا تأمين حوائط البيت وهي إما تكون من الخشب أو الحجر، فتأمين هذه الأشياء مع دعاء النبي ﷺ وسماع الآخرين لهذا التأمين أيضا معجزة من معجزاته ﷺ الكبرى لأن خشب أو حجارة بدون الألسنة تنطق بالتأمين على دعاء النبي ﷺ وإن الكلام وسماعه ممن لا لسان له أمر يبلغ غاية الإعجاز.

ونرى أن تسليم الجمادات على النبي ﷺ بالنطق وتسبيحها وتأمينها تشير إلى أنها معجزة باهرة لأن الأصل في الحجر والشجر عدم النطق فحينما نطق منها شيء وسمع هذا الكلام الآخرون فهو خارق للعادة، قال النووي(3): فيه معجزة له ﷺ وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ... [البقرة: (74)] وقوله تعالى تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ ۚ وَاِنْ مِّنْ شَىْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ ۗ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًاO [الإسراء: (44)] وفي هذه الآية خلاف مشهور والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله تعالى فيه تمييزا بحسبه كما ذكرنا ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى ؈ وكلام الذراع المسمومة ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي ﷺ وأشباه ذلك، انتهى كلامه — رحمه الله. ولكن خلاف العلماء مشهور هل كل ما وقع له من الخوارق قبل البعثة أو بعدها من قبيل المعجزة أم أن ما حصل منها قبل البعثة فهو من الدلائل على نبوته وما حصل منها بعد البعثة فهي معجزة، فعلى كل حال هو خارق للعادة دليلاً كان أم معجزة، إما تمهيداً لنبوته ﷺ أو تأكيداً على صدق رسالته ﷺ واطمئناناً لقلبه ورسوخ اليقين في قلوب أصحابه ﷺ.

---

(1) كذا أورده القاضي عياض في الشفا (201/1) والسيوطي في الخصائص الكبرى (75/2) ولم أقف على سنده.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (263/19) وحسنه الهيثمي في المجمع (438/9) ولكن في سنده رجل ضعيف، وابن ماجه (1223/2) كتاب الأدب باب الرجل يقال له كيف أصبحت وسنده ضعيف أيضاً.

(3) شرح مسلم للنووي (36/15).

4) نطق الحيوان غير الناطق:

1- عن عبد الله بن جعفر قال: دخل رسول الله ﷺ حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ من رأسه إلى سنامه وزفر له فسكن، فقال: «من صاحب هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله! قال: «أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكتها، إنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه»[1].

2- وعن يعلى بن مرة قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ ذات يوم إذ جاء جمل يرغو حتى ضرب بجرانه بين يديه، ثم ذرفت عيناه حتى بلّ ما حوله، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما يقول البعير؟ إنه يزعم أن صاحبه يريد نحره»، ثم قال: «ويحك انظر لمن هذا الجمل؟» فخرجت ألتمس صاحبه فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته إليه، فقال: «ما لبعيرك يشكوك زعم أنك أفنيت شبابه حتى إذا كبر تريد أن تنحره، وتقسم لحمه» قال: «فلا تفعل هبه لي أو بعنيه»، فقال يا رسول الله! مالي مال أحب إلي منه، قال: «فاستوص به خيرا»، فقال لا جرم، لا أكرم مالي كرامة يا رسول الله! [2].

3- وعن الحسن قال: بينا رسول الله ﷺ في مسجده إذا أقبل جمل ناد حتى وضع رأسه في حجر النبي ﷺ وجرجر، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إن هذا الجمل يزعم أنه لرجل وأنه يريد أن ينحره في طعام عن أبيه الآن فجاء يستغيث» فقال رجل: يا رسول الله! هذا جمل فلان، وقد أراد ذلك، فدعا النبي ﷺ الرجل فسأله عن ذلك فأخبره أنه أراد ذلك، فطلب إليه النبي ﷺ أن لا ينحره ففعل[3].

4- وعن جابر قال: لما رجعنا من غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بمهبط الحرة، أقبل جمل يرغم فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما قال هذا الجمل هذا جمل يستعديني على سيده يزعم أنه يحرث عليه منذ سنين، وأنه أراد أن ينحره، اذهب يا جابر إلى صاحبه فأت به»، فقلت: لا أعرفه قال: «إنه سيدلك عليه» فخرج بين يديه مقنعاً حتى وقف على صاحبه فجئت به... [4] الحديث.

دلالة الإعجاز: فهذه الأحاديث الأربعة تدل على معرفة الجمال لرسول الله ﷺ وسجودها له ﷺ وشكواه إليه وطاعتها لملاكها لشفاعته ﷺ ورؤية الصحابة واستغرابهم من هذا الأمر معجزة لرسول الله ﷺ حيث قيام البعير بالعمل على أتم وجه معجزة له ﷺ وهذا المخلوق عظيم الخلقة خلقت لخدمة الإنسان قال سبحانه و تعالىٰ: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَO وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَO وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا

(1) أخرجه أبو داود في السنن (72/2 برقم 2549) كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، وسنده صحيح.

(2) أخرجه أحمد في المسند (170/4برقم 17583) بطوله وفيه من لا يعرف، ولكن للحديث طرق أخرى يتقواه. وقد صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(برقم 2270).

(3) أخرجه ابن سعد في الطبقات لاكبرى (186/1) وسنده ضعيف جداً.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (52/9 برقم 9112) بسند محتمل التحسين.

بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ O وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَO [النحل: (5-8)]

والأنعام عبارة عن الأزواج الثمانية، وهي الضأن والمعز والإبل والبقر[1].

وقد ثبت كلام الذئب أمامه ﷺ، كما جاء:

– عن أبي سعيد بينما أعرابي ببعض نواحي المدينة في غنم له إذ عدا ذئب على شاة، فأخذها، فطلبها الراعي، فاستنقذها منه فصعد الذئب على تل فأقعى واستقر، وقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقا ساقه الله إلي؟ فقال: يا عجبا لذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني بكلام الإنس! فقال الذئب: أتعجب مني، فقال الرجل: كيف لا أعجب من ذئب مستذفراً ذنبه يتكلم؟ فقال الذئب: والله إنك تصادف أعجب من هذا، وفي لفظ: أنا أخبرك بأعجب من كلامي، قال: وماذا أعجب من هذا؟ قال: قال: رسول الله ﷺ في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما سبق وما يكون بعد ذلك، وفي لفظ: يدعو الناس إلى الهدى، وإلى دين الحق وهم يكذبونه، فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زوايا المدينة، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره[2].

قال القاضي في الشفاء[3] روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم، فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبدالله ﷺ بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ؟ فقال: واللات والعزى إن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً.

دلالة الإعجاز: ففي هذا الحديث كلام الذئب عنده، والتنبيه به على رسالة المصطفى ﷺ بأنه يدعو الناس إلى الله تعالى لأمراً عظيماً، ومعجزة كبرى على صدق الرسالة المحمدية بأنه رسول الله ﷺ حقاً، وكلام الذئب يدل أنه يعلم بأنه نبي مرسل من عند الله وأنه أجرى هذا الكلام على لسانه لإقامة الدليل على صدق رسالته ﷺ، ونطق شهادة الذئب له بالرسالة وهو حيوان في عرف البشر لا ينطق ولا يتكلم، علمنا أن الله سبحانه لم ينطقه إلا لهذا الغرض العظيم وذلك الأمر خارق لقوانين الطبيعة، فأصبح معجزة.

وروي كلام الظبية معه ﷺ، كما جاء:

– عن أنس كنا مع رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة فمررنا بخباء وإذا بظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله! أُخِذت ولي خشفان في البرية، وقد انعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني، فأرجع إلى خشفي في البرية، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن تركتك ترجعين؟» قالت: نعم، وإلا عذبني الله عذابا أليما، قال: «وتفعلين؟» قالت: عذبني الله عذاب العَشَّار إن لم أفعل، فقال: «أين صاحب هذه؟» فقال القوم: نحن يا رسول الله! قال: «خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع لكم» فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: «أنا» فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال: «أين أصحاب هذه؟» فقالوا: نحن يا رسول الله! فقال: «تبيعونها؟» فقالوا:

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (205/1).

(2) أخرجه أحمد في المسند (83/3، 88) وهو متفق عليه.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (205/1)

هي لك يا رسول الله! فقال: «خلوا عنها» وأطلقوها، فذهبت، وهي تضرب برجلها فرحا وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله(1).

دلالة الإعجاز: في هذا الحديث معرفة الظبية لرسول الله ﷺ حين مرّ بها واستشفاعها به عند الإعرابي الذي صادها لتذهب وترضع أولادها ثم تعود إليه ثم نطق الشهادتين عند سراحها لأمر عظيم خارق للعادة فنطقها كنطق الذئب وعرفنا من كلامها أنها كانت تعلم أنه ﷺ رسول الله وجب إيمان برسالته، وتعلم أنه ﷺ رحمة للعالمين ونالت من بركته ورحمته فاستشفعت حتى يطلق سراحها، وإذا كان هذا حال الحيوان فما بال الإنسان لم يؤمن به بل يكفره مع أنه يعقل ويعي ويفكر في الكائنات كلها.

وكذلك كلام الضبّ بإزائه، كما روي:

– عن عمر بن الخطاب أن أعرابيا صاد ضباً فقال: لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب، فأقبل رسول الله ﷺ على الضب، فقال: «يا ضب»، قال: لبيك وسعديك يا رسول الله! يا زين من وافى القيامة، قال: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «من أنا؟» قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك، فقال الأعرابي: والله لا أبتغي أثرا بعد عين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله(2).

ضعفه البيهقي وتبعه الذهبي، وبالغ ابن تيمية، فقال: وضعه بعض قصاص البصرة، ولفظه تبين عليه شواهد الوضع.

وعلى فرض حجيته أن شهادة الضب بنطق الشهادتين أمر خارق للعادة وهو كان يعرف نبوة النبي ﷺ وأنه مرسل من رب العالمين ونطقه ههنا في وقت الحاجة هي أعظم آية من الآيات الباهرة.

5) نطق الأموات:

1- وفي غزوة بدر أن النبي ﷺ خاطب أهل القليب(3)، وقول عمر يا رسول الله! كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ وقول قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً وحسرة وندامة.

وقد روي في مرسل عبيد بن مرزوق: قال كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد، فماتت، فلم يعلم بها النبي ﷺ فمر على قبرها فقال: «ما هذا القبر؟» قالوا له: أم محجن قال النبي ﷺ: «كانت تقم المسجد؟» قالوا: نعم، فصف الناس، فصلى عليها،

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (358/5برقم5547) بسند ضعيف، وقال ابن كثير في تحفة الطالب على مختصر ابن الحاجب (ص: 178): هذا الحديث في متنه نكارة.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (127/6برقم5996) وهذا إسناد ضعيف أيضاً، وقال الذهبي في الميزان (651/3): هذا خبر باطل.

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (462/1برقم1304) كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم في الصحيح(643/2برقم932) كتاب الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

ثم قال: «أي العمل وجدتِ أفضل؟» قالوا: يا رسول الله! أتسمع ما تقول؟ قال: «ما أنتم بأسمع منها» فذكر أنها أجابته: قمَّ المسجِدِ ثم قم المسجد: تنظيفه مما لا ينبغي أن يكون فيه[1].

دلالة الإعجاز: وقد سبق معنا في الطعام نطق ذراع الشاة المسموم، وهو كان بعد الذبح والطبخ فلا يستبعد كلام الأموات وإسماعه ﷺ لها وقد حصل من بعض الصحابة نطقه بعد موته كما كلم الربيع بن الخراش وزيد بن خارجة وغيرهما بعد موته، وأن الأجساد لا أرواح فيها – حسب طبيعة البشر – لا يتكلمون ولا يسمعون وهو ظاهر كلام عمر بن الخطاب: "كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها" فإسماع الأموات وكذلك نطق بعض الأموات فهو أمر خارق لقوانين الطبيعة فهي معجزة كبرى.

6) نطق الأشياء المعنوية:

1- عن أبي هريرة قال: جاءت الحمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! ابعثني إلى أحب قومك إليك، فقال: «اذهبي إلى الأنصار»، فذهبت فضمت عليهم فصرعتهم، فقالوا: يا رسول الله! ادع الله لنا بالشفاء فدعا فكشفت عنهم، قال البيهقي: يحتمل أن هذا في قوم آخرين من الأنصار[2].

2- وعن جابر قال: استأذنت الحمى على رسول الله ﷺ فقال: «من هذه؟» فقالت: أم ملدم فأمرها لأهل قباء فلقوا ما لا يعلمه إلا الله، فأتوه فشكوا ذلك إليه، فقال: «ما شئتم، إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم، وان شئتم تكون لكم طهورا»، قالوا: أو تفعل ؟ قال: «نعم»، قالوا: دعها[3].

3- وعن أبو بكر الصديق قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئا، ولم أر معه أحداً، فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع؟ قال: «هذه الدنيا مثلت لي»، فقلت لها: «إليك عني»، ثم رجعت فقالت: إن أفْلتَّ مني فلن يتَفَلّتْ مني من بعدك[4].

4- وعن عطاء بن يسار مرسلاً عن رسول الله ﷺ قال: «أتتني الدنيا خضرة حُلوة ورفعتْ لي رأسها وتزينتْ لي»، فقلت: "لا أريدك"، فقالت: إن انفلتَّ مني لم ينْفَلِتْ مني غيرك[5].

دلالة الإعجاز: إن الحمى والدنيا من الأشياء المعنوية لا الحسية، وهي أعظم آية على صدق نبوة النبي ﷺ لأن الأشياء الحسية لها أجساد وأرواح كالحيوان ولها لسان بعدم القدرة على النطق، وأعظم من ذلك أن الأشياء المعنوية لا يكون لها جسد ولا لسان ولكن نطقت أمام النبي ﷺ وأحس بها أصحابه ﷺ لقول أبي بكر الصديق "يا رسول الله ما الذي تدفع" فهي معجزة من معجزاته ﷺ الكبرى.

---

(1) أورده الهندي في الترغيب والترهيب من أبي الشيخ الأصبهاني (122/1) وقال: مرسل، ولم أجده عند أبي الشيخ، ومعناه متفق عليه.

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: 177برقم1322) بسند صحيح.

(3) أخرجه أحمد في المسند (316/3) بسند صحيح.

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (344/4) بسند ضعيف جداً.

(5) أخرجه أحمد في الزهد (ص: 399) من مرسل عطاء.

خلاصة البحث:

قد وصلت بعد تكميل هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أن موضوع هذا البحث مهم جداً لكونه متعلقاً بنبوة النبي ﷺ وهو أساس الإسلام.
- والمعجزة هو أمر خارق للسنن الكونية سالمة من المعارضة تدل على صدق نبوة النبي.
- وللمعجزة شروط: خارق للعادة، لمدعي النبوة، سالمة من المعارضة مع الخلاف فيها.
- وهناك الخوارق الأخرى غير المعجزة مثل الكرامة والسحر والكهانة وغيرها.
- وأن المعجزة خاصة بالنبي، والكرامة بالولي، والسحر وغيره بالفاسق أو الكافر.
- وكانت هذه المعجزات سبب رسوخ اليقين والإيمان في قلوب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين.
- وكان معجزاته ﷺ في كثير من مجالات حياة الإنسان.
- ونطق الأشياء الصامتة حسية كانت أو معنوية معجزة من معجزات النبي ﷺ.
- ومن الأشياء الحسية الطعام والشراب والشجر والحجر والحيوان والميت كما من الأشياء المعنوية الحمى والدنيا.
- وكان الصحابة يرون بعين اليقين حتى رووا لنا ما أدركوا منها.
- وواجب علينا أن نؤمن بها كما آمن به الصحابة الكرام

وأخيراً، نرى أن بيان هذه المعجزات يزيدنا يقيناً وإيماناً، فعلى العلماء الكرام أن يهتموا اهتماماً خاصاً بهذا الجانب لإظهار صدق نبوته وإعلاء كلمة الدين، والناس في حاجة ماسة لظهور الفتن والفساد في شخصيته وفي سننه وحتى في دين الإسلام، والله الموفق والمعين.

وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.